نقش الملك التوراتي يهوآش
نموذج لتزوير التاريخ الفلسطيني

د. عصام سخنيني

كلية الآداب - جامعة البترا

ملخص

كشف ثلاثة من جيولوجي مركز "المسح الجيولوجي لإسرائيل" التابع لوزارة البنى التحتية الإسرائيلية (في كانون الثاني ٢٠٠٢) انهم تاكدوا من صحة لوحة حجرية زعم انها نقشت في عهد يهوآش الذي جاء ذكره في الروايات التوراتية على انه ملك يهوذا الذي حكم في القدس في القرن التاسع قبل الميلاد. وفي هذه اللوحة المكونة من ١٥ سطرا، والمنقوشة باللغة العبرية باحرف فينيقية قديمة، يكيل يهوآش المدح والتمجيد لأعمال الترميم التي اجراها في "هيكل سليمان" باسلوب يماثل الأسلوب الذي كتبت به فقرات من التوراة تصف هذه الحادثة.

وقد اثار النقش عاصفة في الأوساط الأكاديمية. فقد اعتبره جيولوجيو المركز المذكور ومعهم عدد من الباحثين انه الدليل الأول من نوعه من مصادر غير توراتية الذي يتطابق مع الروايات التوراتية. وبهذا المعنى فقد زعم انه يؤكد وجود "الهيكل الأول"، ويسوغ بالتالي المطالبة اليهودية "بجبل الهيكل" - موقع الحرم القدسي الشريف.

غير إن باحثين آخرين تيقنوا من ان النقش مزور، وقد ضم هؤلاء علماء آثار وخبراء في الكتابات القديمة والنقوش واللغات السامية القديمة. وقد اقاموا حكمهم ذلك على فحوص اجروها على النقش نفسه (مواده ولغته ونقوشه) وعلى تقرير فريق المركز المذكور، وخلصوا من ذلك إلى نتيجة مؤداها أن النقش لا يمكن ان يكون قديما.

وتتفحص الدراسة الحالية هذا التزوير بتفصيل ضمن إطار وظيفته في تزييف تاريخ فلسطين القديم.

Biblical King Jehoash Inscription
An Example of Falsifying the Palestinian History

Dr. Issam Sakhnini
Faculty of Arts
The University of Petra

ABSTRACT

Three geologists from Geological Survey of Israel (GSI) of Israel's Infrastructures Ministry disclosed in January 2003 that they had authenticated a stone tablet purported to be inscribed in the age of Jehoash who in the Biblical narrative was the king of Judea and ruled in Jerusalem at the end of the ninth century B.C.E. In the 15-line tablet, written in Hebrew in ancient Phoenician script, Johoash lauds the repair work he carried out in "Solomon's Temple" in a manner which resembles that of passages in the Bible telling the same event.

The disclosure of the inscription has aroused a storm. The geologists themselves and other scholars deemed it to be a first-of-its kind piece of extra-biblical evidence describing events in a manner that adheres to the narrative in the Bible. In this sense, it confirms the existence of the "First Temple" and hence vindicates Jewish claims to the "Temple Mount" - the location of al-Masjid al- Aqsa.

Other scholars believe the inscription is a forgery. These included prominent archaeologists, paleographers, experts on the ancient Semitic languages and epigraphers. They rested their verdict on thorough examinations of the inscription (its material, language and scripts) and the report of the GSI team, concluding that the tablet cannot be considered ancient.

The present paper examines this fake.

الإطار المرجعي للبحث

نمت عملية كتابة التاريخ القديم لفلسطين على أيدي الغربيين في أحضان التوراة. فهي التي شكلت المرجعية التي تكاد تكون وحيدة لهذه العملية بحيث أسدل ستار كثيف على ماضي فلسطين القديمة فلا يرى إلا من خلال ما تقصه عنه الحكايات التوراتية. وبهذا المعنى فإن تاريخ فلسطين القديم ليس إلا تاريخ اليهود فيها، أما ما يخرج عن الإطار اليهودي فليس له إلا وظيفة واحدة هي ان يكون ملحقا بهذا الإطار أو حاشية ثانوية للمتن الأصلي دون ان يمتلك الحيثية التي تؤهله للتعامل معه مستقلا بنفسه، متخلصا من صفتي الإلحاق والتبعية. وهذه الحالة هي التي ينطبق عليها وصف وليد الخالدي بأنها "اعتقال التاريخ الفلسطيني بالعهد القديم [التوراة]"(١) ، او هي في الحقيقة "إسكات التاريخ الفلسطيني"، وفق تعبير كيث وايتلام(٢).

وكانت الحالة هي هكذا حتى وقت قريب، إلى مطلع تسعينيات القرن الماضي، عندما حدث ما يشبه الثورة في الدراسات التوراتية نفسها قلبت للتوراة ظهر المجن بعد أن ثبت لأعلام هذه "الثورة" أن هذا الكتاب لا يزيد في حقيقته عن أن يكون كتاب لاهوت من جانب، ومجموعة من الحكايات الأسطورية من جانب آخر - بعضها مختلق بالكامل، وبعضها تكرار بصياغات مختلفة لأساطير أقوام وحضارات قديمة - لفقت معا لصياغة تاريخ مشتهى لليهود، وهو في كلا الحالتين (اللاهوتية والأسطورية) لا يصلح أن يكون وثيقة لمعرفة تاريخ فلسطين القديم، وبالتالي لكتابة هذا التاريخ اعتمادا عليه.

وقد نجم عن هذه "الثورة" صراع بين أعلامها من جهة وخصومهم التقليديين، من جهة ثانية، وهم الذين تمسكوا بأهمية التوراة كوثيقة أساسية في عملية التأريخ. وفي هذا الصراع أطلق على هؤلاء الأعلام صفة Minimalists التي يمكن اقتراح

كلمة عربية مقابلة لها هي لفظة "المهوّنين"، في مقابل صفة Maximalists التي أطلقت على الخصوم التقليديين، والتي يمكن اقتراح مقابل عربي لها بلفظة "المغالين"(٣).

وقد توزع اعلام هذه "الثورة"، وهم جميعا أساتذة وباحثون كبار في الدراسات التوراتية، أو علم الآثار، أو اللغات القديمة، على جانبي الاطلسي كليهما، فاشتهر على الجانب الغربي منه توماس طمسن(٤) Thomas L. Thompsom الذي لم تتحمل الأوساط "الأكاديمية التوراتية" هناك جرأته في محاولاته كتابة تاريخ لفلسطين مستقل عن التوراة، فـ"هاجر" إلى الدنمارك ملتحقا بجامعة كوبنهاجن. اما في الجانب الأوروبي فاشتهر من هؤلاء الأعلام نيلز بيتر لمكه(٥) Neils Peter Lemche، من جامعة كوبنهاجن بالدنمارك، وكيث وايتلام(٦) Keith W. Whitelam وفليب ديفز(٧) Philip R. Davies من جامعتي ستيرلنج وشفيلد البريطانيتين على التوالي، وجيوفاني جابريني(٨) Giovanni Gabrini من جامعة روما، لنذكر فقط أسماء قليلة. أما عربيا فقد كان مَن شارك في هذه الثورة قلة من الباحثين، وكان في الطليعة منهم الباحث السوري فراس السواح(٩)، كما كانت للباحث الحالي مساهمة جزئية فيها في دراسة له سابقة(١٠).

ومن خلال النتائج التي توصل اليها هؤلاء "المهوّنون" اخذت تتراءى معالم جديدة للتاريخ الفلسطيني القديم قائمة على دعامتين: الأولى هدم الأسطورة التوراتية عن ماضي اليهود في فلسطين ووضعها في مكانها الصحيح من حيث هي مجموعة من الحكايات المختلقة لا تثبت للنقد التاريخي وقد ابتدا محررو التوراة بصياغتها في العصر الفارسي الذي غلب على فلسطين (٥٣٨-٣٣٢ ق.م) وتوسعت الصياغة واستقرت في العصر الهلينستي (٣٣٢-٦٣ ق.م)، حتى عد بعض المؤرخين التوراة كتابا هلنستيا. اما الدعامة الثانية فهي التوجه نحو كتابة تاريخ مستقل لفلسطين القديمة متحرر من

ربقة الأخيولة التوراتية ومعتمد على الوثائق المشرقية القديمة، وعلم الإناسة (الأنثروبولوجيا)، وتاريخ تطور المناخ الذي يوفر معلومات وافية عن أنماط الاستيطان البشري في المنطقة، ومعطيات علم الآثار.

غير إن علم الآثار لم يكن في الحقيقة بمنجى عن السطوة التوراتية. فذلك الجانب منه المتصل بالمنطقة أطلق عليه منذ أن نشأ في القرن التاسع عشر اسم علم الآثار التوراتي . *Biblical Archaeology* وقد انحصرت مهمته تحديدا في التنقيب عن الآثار التي تعزز المرويات التوراتية وبالسعي إلى أن يكتشف في باطن الأرض وعلى سطحها ما يمكن أن يدل على شخصية من الشخصيات الوراد ذكرها في التوراة، أو حدث قد سجلته، أو موقع أشارت إليه. وفي هذه الحالات جميعا أصبحت السمة المجازية لعالم الآثار المنقب في الأرض الفلسطينية هي سمة من يحمل المعول في يمناه والتوراة في يسراه ليكمل بأحدهما الآخر.

لكن على الرغم من الجهود المضنية التي بذلها "علم الآثار التوراتي" الذي لم يترك حجرا على حجر في فلسطين إلا قلبه ليثبت به صلة ما بين الآثار فيها والحكايات التوراتية، فقد كانت نتائجه مخيبة لآمال أصحابه إذ لم تزد حصيلته في محيط الأرض الفلسطينية عن "أثر" واحد احتفي به لإثبات ادعاء هذه الصلة(١١). ذلك "الأثر" هو الذي عرف بنقش تل دان نسبة للمنطقة التي "اكتشف" فيها (تل دان هي تل القاضي العربية في الجليل)، وهو مكون من كسرتين (إحداهما "اكتشفت" في تموز ١٩٩٣ والأخرى في حزيران ١٩٩٤) اعتبرتا نصبا حجريا يعود لأحد ملوك دمشق الآراميين في القرن التاسع قبل الميلاد وقد سجل عليه بعض انتصاراته في حروبه في المنطقة. وموطن الاحتفاء كان ورود تعبير (ب ي ت د و د) في النقش وقد كتب بالآرامية (ورسم بالأحرف اللاتينية *byt dwd*) وفهم على أنه (بيت داوود)، ليستدل منه على

الأسرتين الحاكمتين في كل من السامرة ويهوذا المتحدرتين زعما من الملك داوود. واستطرادا لذلك ربط ما بين هذا النقش والحكايتين الواردتين في الإصحاحين ٢٠ و٢٢ من سفر الملوك الأول عن هزيمة آخاب ملك السامرة (أو إسرائيل) ويهوشافاط ملك يهوذا (أورشليم) أمام من يسميه هذان الإصحاحان "بن هدد" ملك دمشق الآرامي. غير إن هذا النقش الذي دخل في "علم الآثار التوراتي" على أنه أول وثيقة من "مصدر مستقل" تثبت الصلة ما بين الرواية التوراتية والآثار لم يستطع أن يقف صامدا أمام النقد الصارم الذي وجه له والذي أظهر في النهاية أنه "مزيف". وقد اثبت الزيف طائفة من علماء الآثار واللاهوت واللغات السامية القديمة والنقوش (الإبيغرافيا)، ووصل الحد بجيوفاني غابريني، استاذ الساميات بجامعة روما، بعد أن درس النقش دراسة معمقة، إلى اتهام مكتشفي النقش الإسرائيليين عالم الآثار ابراهام بيران، والعالم بالنقوش الآرامية جوزيف نافيه، بانهما هما اللذان كانا وراء التزييف(١٢).

كان "نقش تل دان" بالمصير الذي آل إليه هو الوحيد، كما اكدنا، الذي "اكتشف" في فلسطين بهدف تأكيد الصلة ما بين الروايات التوراتية واللقى الآثارية وإثبات إمكانية قراءة تلك الروايات في ضوء تلك اللقى، ومن أجل الوصول في النهاية إلى التسليم بمصداقية التوراة في رواياتها التاريخية. غير إننا نستدرك بالقول بأن نقشا آخر قد "اكتشف" حديثا في فلسطين، في القدس هذه المرة، لم يقل الاحتفاء به (منذ أن أعلن عنه في كانون الثاني ٢٠٠٣) عن ذاك الذي استقبل به "نقش تل دان". وقد نسب هذا النقش الى يهوآش الذي جاء ذكره في الروايات التوراتية بصفته ملكا على يهوذا (أورشليم) في القرن التاسع قبل الميلاد. لكن على الرغم من كل التبجيل الذي لاقاه هذا النقش الجديد والاستدلالات والمعاني التي استخرجت منه واستنطاقه بالشهادات عن صحة الروايات التوراتية فقد وجد أن حظه من الصدق التاريخي لم يزد

عن حظ سلفه المزور نقش تل دان.

وصف النقش ومحتواه[١٣]

النقش عبارة عن لوحة من حجر البازلت المائل إلى السواد على شكل مستطيل بأبعاد ٦١×٣٠×٨ سم (انظر صورته في الملحق). وهو يحتوي على نص من ١٥ سطرا كتب باللغة العبرية القديمة بأحرف فينيقية. الجزء الأعلى من اللوحة مكسور وبذلك سقط منها اسم الملك الذي ينسب إليه النقش وهو يهوآش (وفق ما يرسم الاسم في الترجمة العربية للتوراة، بينما يرسم في اللغة الإنجليزية . Jehoash) غير أن أصحاب النقش استدلوا على صاحبه المزعوم من أن السطر الثاني في النقش ابتدأ بكلمة "هزياهو" وهي اسم أبي يهوآش لكن تنقصه الألف في البداية. فالاسم كما يرد في العبرانية هو "أهزياهو"، بينما ترسمه الترجمة العربية للتوراة "أخزيا"، ويرد في الترجمات الإنجليزية برسم Ahaziah وعلى هذا جرى افتراض أن السطر الأول من النقش الذي ضاع نتيجة الكسر الذي أصاب أعلى اللوحة كان يتضمن "يهوآش بن"، وبهذا نسب النقش إلى يهوآش بن أخزيا (وفق رسم الاسم في الترجمة العربية للتوراة)، وافترض أنه صنع في القرن التاسع قبل الميلاد.

يظهر في اللوحة صدع قطري في الحجر ينحدر من الهامش الأيمن قرب السطر الثامن وينتهي بالحرف الأخير من السطر الحادي عشر، عابرا بعشرة أحرف في أربعة سطور. ويغطي اللوحة غشاء تعتيق *patina* يشمل اللوحة بما فيها من نقوش وصدع. ويظهر في هذا الغشاء ذرات كربونية، وأيضا ذريرات من الذهب الخالص.

وقد جاء النص المنقوش في اللوحة بصيغة المتكلم المفرد، بمعنى أن يهوآش كان هو نفسه يتحدث عن العمل الذي قام به وسجله على الحجر. وقد قرئ النقش وترجم على

أن يهوآش بسط يده لجمع الفضة من كل مكان في يهوذا لكي يدفع ثمن الحجارة والخشب وقضبان البرنز لترميم البيت المقدس (الهيكل)، وهو قد فعل ذلك في البيت نفسه وفي أبوابه وممراته، ويختتم بوعد بالبركة من يهوه ـ اسم الإله العبراني.

وسبب الاحتفاء بهذا النقش انه ياتي في مضمونه مطابقا للرواية التوراتية عن ترميم الهيكل الأول (هيكل سليمان) الذي قام به الملك يهوآش. ووفق الكرونولوجيا التوراتية ملك هذا في أورشليم ما بين ٨٣٦ و٧٩٨ ق.م، وفي السنة الثالثة والعشرين لحكمه امر الكهنة بترميم ما تهدم من البيت فجمع هؤلاء الفضة، وعندما توفرت وحسبوها "دفعوا الفضة المحسوبة إلى أيدي عاملي الشغل الموكلين على بيت الرب وأنفقوها للنجارين والبنائين العاملين في بيت الرب، ولبنائي الحيطان ونحاتي الحجارة ولشراء الأخشاب والحجارة المنحوتة لترميم ما تهدم من بيت الرب ولكل ما ينفق على البيت لترميمه"(١٤).

قصة "العثور" على النقش

أعلن رسميا عن النقش في الثالث عشر من كانون الثاني ٢٠٠٣، وكانت الجهة التي أعلنته هي مركز "المسح الجيولوجي لإسرائيل" التابع لوزارة البنى التحتية. وكان المسؤولون عن هذا الإعلان ثلاثة باحثين من المركز هم شمعون إيلاني Shimon Ilani وامنون روزنفيلد Amnon Rosenfeld ومايكل دفورشيك Michael Dvorchik، وهم كانوا قد فحصوا النقش وأجروا عليه الاختبارات العلمية اللازمة وثبت لديهم نتيجة ذلك أنه "موثوق به وأصيل".

أما كيف وصل النقش إلى هذا المركز فموضوع روي بما يشبه القصص الدرامية التي تحيط بها أستار من الغموض وتتضمن كثيرا من الأسرار. فقيل إن الحجر عثرت

عليه دائرة الأوقاف الإسلامية تحت الحرم الشريف في القدس عندما كانت تقوم بالحفريات تحت الحرم في مطلع سنة ٢٠٠٠، وهي القته، دون وعي منها، في جملة ما القت من الركام الناتج عن هذه الحفريات في وادي قدرون القريب، وقد عثر عليه هناك "عربي" باعه من تاجر آثار إسرائيلي. ولا تذكر الروايات اسم هذا التاجر ولا تعرف شيئا عن هويته، سوى أنه كان يمثله، في مراحل أخرى من تطورات القصة، محام إسرائيلي مشهور هو إسحاق هيرتزوج، وهو نائب سابق في البرلمان الإسرائيلي كما كان مستشارا لرئيس الحكومة إيهود باراك.

وتمضي الرواية بالقول إن مالك الحجر المجهول، أو من يمثله، عرضه في صيف ٢٠٠١ على جوزيف نافيه عالم النقوش المشهور من الجامعة العبرية (وهو نفسه الذي اتهم بتزييف نقش دان - انظر اعلاه)، وتصف الرواية هذا الحدث كما يلي: "اتصل شخص مجهول بنافيه وطلب منه أن يتاكد من مصداقية النقش. وقد وافق نافيه على أن يراه فارسل إليه الشخص صورة للنقش، غير أنه بعد أن تفحص الصورة طلب أن يرى الحجر نفسه. وهكذا التقى نافيه، في موعد حدد له، في فندق في القدس مع هذا الشخص الإسرائيلي وشاب عربي ظل صامتا خلال الاجتماع... وكان أمام نافيه متسع من الوقت لفحص الحجر... واستنتج من هذا الفحص أن النقش يمكن جدا أن يكون شيئا مزورا"[١٥]. ويبدو أن مالك هذا الحجر المجهول لم يرض بهذا الحكم فقام بعرضه على المتحف الإسرائيلي للنظر في صدقيته، وبالتالي بيعه من المتحف، إلا أن المسؤولين هناك أبلغوه بأنهم لا يستطيعون أن ينفوا إمكانية أن يكون مزورا[١٦]. غير إن هذا "التاجر" لم يقعده اليأس عن عرض بضاعته فقام - من خلال محاميه إسحاق هيرتزوغ - بعرض الحجر (في أيلول ٢٠٠١) على مركز "المسح الجيولوجي لإسرائيل" حيث تولى العلماء الثلاثة المذكورون آنفا إجراء الفحص "العلمي" اللازم للتاكد من

صدقيته، وأعلنوا بالتالي (في كانون الثاني ٢٠٠٣) النتائج التي توصلوا إليها والتي قالوا فيها إنه ثبت لديهم أن النقش صحيح وموثوق.

نتائج الفحص المعلنة

ركز جيولوجيو المركز في فحصهم على ثلاثة أمور: غشاء التعتيق patina الذي غلف الحجر، وذرات الكربون التي وجدت في الغلاف، وكريات الذهب الصغيرة التي وجدت عليه.

فقد ذكر تقريرهم[١٧] أن الحجر مغلف بغشاء بني مصفر مكون من العناصر الكيميائية نفسها التي يتكون منها الحجر بالإضافة إلى عناصر أخرى دخلت عليه جاءته من الأرض التي دفن فيها. ويغطي الغشاء الحجر بكامله بما فيه الجزء المكسور في أعلاه، والصدع الحادث فيه، والحروف المنقوشة عليه. ويستنتج التقرير من ذلك أن هذا الغشاء أصلي وقد تكون بفعل الزمن (معتق)، وليس هناك احتمال بأن يكون شخص ما قد حصل على حجر معتق من الأصل وقام بنقش الحروف فيه. كذلك لم ير الجيولوجيون مادة لاصقة على الحجر تفتح مجالا للقول بأن شخصا ما أيضا قام بعمل النقوش والصدع على حجر "نظيف" ثم الصق عليه الغشاء الدال على القدم. كذلك درس الجيولوجيون الصدع في الحجر واستنتجوا عدم إمكانية نقش الحروف المار بها الصدع، وإلا لكانت اللوحة قد تعرضت للكسر. والنتيجة التي توصلوا إليها من هذا الفحص تذهب إلى أن الغشاء قد تكون بعد نحو من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ سنة بعد أن تم النقش على الحجر نتيجة فعل الزمن، وأيضا بسبب دفنه في الأرض مدة طويلة. والخلاصة أن النقش صحيح وهو ليس من صنع مزور.

أما ذرات الكربون في الغشاء فقد أخضعت للفحص من جانب مختبر أميركي هو

Beta Radiocarbon Dating Laboratory at Miami, Florida، وكان الهدف من الفحص هو معرفة عمر هذه الذرات باستخدام تكنولوجيا قياس نسبة الكربون المشع (الكربون ١٤) فيها، وهي تكنولوجيا مستخدمة في علم الآثار والجيولوجيا لتحديد عمر الأجسام التي تحتوي في تركيبتها عنصر الكربون. ونتيجة الفحص، كما يذكر التقرير، تبين أن عمر هذه الذرات المكربنة العالقة في الغشاء يعود إلى ما بين سنتي ٣٩٠ و٢٠٠ ق.م. وبذلك يتوصل التقرير إلى الوثوق بصحة النقش بدليل قدم هذه الذرات التي هي بالتأكيد، وفق جيولوجيي المركز، ليست من صنع حديث.

كذلك فُعل بكريات الذهب الميكروسكوبية التي بين التقرير أنها من الذهب الخالص وهي عالقة في الغشاء فلا يمكن أن تضاف إليه، فهي بذلك دليل آخر على قدم النقش.

من هذه النتائج تم التوصل إلى الخلاصة التالية: إن النقش قديم يعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وقد بقيت اللوحة التي حملته سليمة، ربما معلقة على أحد جدران الهيكل الأول (هيكل سليمان) إلى حين تدمير أورشليم على يد البابليين سنة ٥٨٦ ق.م. وفي عملية التدمير هذه دمر الهيكل وأصيب بحريق والذرات المكربنة في الغشاء هي من آثار هذا الحريق. أما كريات الذهب العالقة في الغشاء فهي قد وصلت إلى الحجر من الذهب الذي كان يغشي جدران الهيكل وقد انصهر بفعل الحريق.

وقبل أن نمضي قدما في عرض هذه النتائج على محك النقد نلمّ بردود الفعل الاحتفائية التي استقبل بها هذا "الاكتشاف" وبالمعاني والدلالات التي اشتقت منه.

المعاني والدلالات

مثل النقش مستندا لـ"المغالين" لتعزيز دفاعهم عن "تاريخية" التوراة وأداة لسحب

البساط من تحت اقدام "المهوّنين". فهو لدى الأوائل اثر ومصدر مستقل يثبت أن الروايات التي جاءت بها التوراة صحيحة. وقد وصف الآثاري الإسرائيلي سيلبرمان هذا الوضع بقوله: "إنه في الوقت الذي أصبح فيه تاريخ تاليف التاريخ التثنوي[١٨] مسالة خلاف حاد بين المغالين والمهوّنين، يقدم نقش يهوآش اجابة قوية منقوشة في الحجر على أولئك الذين ينكرون أن التاريخ التثنوي يتضمن تسجيلا معتمدا عليه للحوادث التي وقعت"[١٩].

وفي التفصيل اعتبر هرشل شانكس، رئيس تحرير مجلة *Biblical Archaeology Review* الصادرة من واشنطن والواسعة الانتشار وعميقة التاثير في الأوساط الأكاديمية التوراتية، أن النقش "تاكيد غير عادي للنص التوراتي"، ويؤكد - وهو نفسه من "المغالين" - أن النقش يدعم تاريخية سفر الملوك[٢٠]. وفي هذا الاتجاه نفسه ذهب غابرييل باركاي أستاذ الآثار في جامعة بار إيلان (بإسرائيل) الذي رأى أن النقش - في حال إثبات صدقيته - هو أكثر اللقى الآثارية اهمية في القدس وفي إسرائيل فهو "الدليل المادي الأول من نوعه الذي يصف الأحداث باسلوب متوافق تماما مع الروايات التوراتية"[٢١]. كذلك ذهب إلى أن هذه هي المرة الأولى التي توثق فيها "السلالة الداوودية" في مراحلها الأولى في مصدر غير توراتي[٢٢].

غير إنه إلى جانب هذه الأهمية التي أظهرها النقش لفريق "المغالين" في تاكيدهم صحة الحكايات التوراتية التي سوغتها اللوحة "المكتشفة" فقد احتلت مسالة إثبات تاريخية "الهيكل" مكانة أبرز في جملة اهتماماتهم. فوفقا لبركاي فقد وفر النقش الدليل على وجود "الهيكل" وبذلك ينبغي أن يتاح للعلماء فحصه، والا يبقى محاطا بالسرية[٢٣]، في إشارة إلى حالة الغموض الدرامي التي لفعت بها قصة "اكتشافه". أما

شانكس فقد أراد من النقش أن يكون محورا في النزاع القائم حول "جبل الهيكل"، أو بتعبير أصح موقع المسجد الأقصى. فهو كتب في المجلة التي يرأس تحريرها: "إذا ثبتت صحة النقش فهو يقدم الدليل على حق مطالبة إسرائيل بجبل الهيكل، أما إذا كان مزورا فهذا يعني أن إسرائيليا ما كان يحاول أن يصنع دليلا على حق إسرائيل بالمطالبة بجبل الهيكل، أو ربما أن فلسطينيا ما كان يحاول أن يغرس شيئا مزورا لكي يقوض به حق إسرائيل المفترض في المطالبة بجبل الهيكل"[٢٤]. غير أن هذه الاحتمالات التي أوردها شانكس لا تبطل رايه في ترجيح أن يكون النقش صحيحا[٢٥].

أما الأكثر وضوحا وصراحة من هذه الآراء التي طرحها كل من بركاي وشانكس عن أهمية النقش في إثبات الأسطورة التوراتية عن "الهيكل"، فقد كان الحملة التحريضية التي قادتها منظمة "أمناء جبل الهيكل" لترويج أفكارها انطلاقا من هذا "الاكتشاف". وهذه المنظمة اليهودية المتطرفة التي قامت نواتها الأولى بعد حرب ١٩٦٧، تقوم افكارها، من جملة امور اخرى، على ركيزتين: الأولى "تحرير جبل الهيكل من الاحتلال العربي (الإسلامي)" وبذلك فإنه من الواجب هدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وإعادة بنائهما في مكة، والثانية "بناء الهيكل الثالث[٢٦] وفقا لكلمات جميع الأنبياء العبرانيين"[٢٧]. وقد تمسكت المنظمة بالنقش "المكتشف" معتقدة اعتقادا جازما بصحته وبانه فعلا من عمل "الملك" يهوآش، وبانه "اهم الاكتشافات الأثرية في تاريخ ارض إسرائيل والقدس واكثرها إثارة".[٢٨] واستنادا إلى ذلك اعتبرت المنظمة أن هذا الاكتشاف إنما هو "رسالة من الله بعثها إلى جيلنا من خلال الملك يهوآش قائلا: لقد حان الوقت لبناء بيت للرب... وبذلك فإن من واجب الشعب في إسرائيل أن يبني بيته [بيت الرب]... كما إنه لن يسمح لأي شخص في إسرائيل بل في العالم باجمع بأن يقف موقفا سلبيا تجاه هذا المشروع الفائق الأهمية على مدى الأزمان"[٢٩].

وغير ذلك، فقد حذرت المنظمة العرب من أن يقفوا في وجه هذه "الرسالة الإلهية"، مبينة "أن جبل الهيكل ما يزال مليئا ببقايا الهيكل ومواده المقدسة، لذلك نحذر الأعداء العرب المتوحشين الموجودين على جبل الهيكل من محاولة المس بها أو تحطيمها. ذلك بأن أعين إله إسرائيل وقلبه وعنايته موجهة، ليل نهار، إلى شعبه، وإلى أرضه التي وهبها إلى إسرائيل، وإلى أورشليم، وإلى جبل الهيكل الذي هو أقدس موقع في الدنيا. وهكذا فإن من الأفضل لهم أن يحذروا ويخشوا غضب الله وحكمه عليهم. فإله إسرائيل ينصحهم بأن يتركوا جبل الهيكل وشأنه وينأوا بأنفسهم من موقع الإله المقدس وهيكله. فالله عازم على أن يعيد بناء الهيكل، ولن يسمح لأعدائه بأن يوقفوه عن ذلك"[٣٠].

التزييف

منذ أن أعلن عن "اكتشاف" النقش في منتصف كانون الثاني الماضي سال حبر كثير بعضه ليسجل موقفا مصدقا بتاريخية النقش، لكن أكثره ليعلن رفضه له، رفضا استند إلى إجراء دراسات معمقة لكل ما يتعلق بالنقش من حيث الشكل واللغة التي كتب بها والحروف التي استخدمت فيه. وعلى الجانب الأول وقف بالتأكيد فريق مركز "المسح الجيولوجي لإسرائيل" الذي أعلن أنه فحص النقش وتبين له صدقه. وغير هؤلاء دافع عن النقش، بدرجات متفاوتة من الحماس، عدد من أساتذة علم الآثار في الجامعات الإسرائيلية، ومجلة Biblical Archaeological Review المتخصصة بـ "الآثار التوراتية" والتي تصدر في واشنطن، ومجلة Forward اليهودية التي تصدر في نيويورك، بالإضافة إلى "منظمة أمناء الهيكل" الإسرائيلية المتطرفة.

أما في الجانب الآخر فبرزت كثرة من الباحثين الإسرائيليين الذين أثبتوا زيف النقش وبطلان تاريخيته[٣١]. من هؤلاء كان ناداف نعمان Nadav Neeman، المؤرخ

والأستاذ في جامعة تل ابيب الذي كان في بعض مؤلفاته قد طور "نظرية" تفترض أن محرر بعض الروايات في سفر الملوك كان قد استند إلى "وثائق" تاريخية توفرت لديه أمدّته بأصول هذه الروايات، ومنها ما جاء في هذا السفر عن الترميمات التي أجراها يهوآش في"الهيكل الأول". وكان من المفروض أن يكون ظهور النقش سببا يدعو نعمان إلى الابتهاج بانه جاء ليعزز "نظريته"، إلا أنه فعل على العكس تماما إذ القى ظلالا كثيفة من الشك على هذا النقش حتى مال إلى رفضه. وهو يعلل ذلك بما يلي: "إن النقش مثير للشك والجدل، فهو ليس كاي نقش ملكي من الشرق الأدنى القديم أنا على دراية به، فهو وحيد في نوعه في جميع الأحوال. إنه يحتوي على كلمات عديدة لا تظهر في التوراة، وخاصة خاتمة هذا النقش المفترض به أن يكون ملكيا وهي تدعو إلى أن تحل بركة الرب على الشعب. ذلك بان النقوش الملكية من الشرق الأدنى القديم المعروفة لدينا تنتهي عادة بإنزال اللعنة على اي شخص يصيب النقش بالضرر، أو تنتهي أحيانا باستمطار البركة على الشخص الذي كتب النقش، أما الدعاء بالبركة على الشعب فليس هناك شيء آخر يشبهه"(٣٢). كذلك يرى أن التاكيد الذي جاء في النقش على مساهمة الشعب في يهوذا بأعمال الترميم التي قام بها يهوآش في المعبد هي حالة فريدة لأن العادة جرت في النقوش الملكية على تاكيد الملك على نشاطاته هو شخصيا مع تجاهل تام لجميع الآخرين الذي شاركوا في البناء. ومع هذا فهو يتساءل: أليس من الجائز أن يكون ملوك يهوذا قد كتبوا بأسلوب مغاير لما فعله أندادهم غير اليهود في الشرق الأدنى القديم؟ وهو يجيب بان الوسيلة الوحيدة لإثبات، أو عدم إثبات الزعم بوجود أسلوب كتابة مختلف في يهوذا هي العثور على نقش ملكي يهوذي آخر يمكن أن يشكل أساسا للمقارنة.

غير أن الشكل الأسلوبي للنقش لم يكن هو موضوع النقد الوحيد، فقد توقف

آخـــرون عند اللغة المستخدمـــة فيه. وفي هـــذا الصدد توصل إد جرينشتاين Ed Greenstein، خبير اللغات السامية القديمة والأستاذ بجامعة تل أبيب، إلى أن هناك استعمالات لغوية وردت في النقش لا تنتمي إلى عبرية القرن التاسع قبل الميلاد ـ الزمن المفترض للنقش، بل هي استعمالات أخذت دلالاتها بعد ذلك بقرون وأساء أو أخطأ من اختلق هذا النقش عندما أدرجها في النقش على أنها قديمة. ومن هذه الاستعمالات تعبير (ب ي د ك ب ا ي ت) bedek bayit وفق ما رسمه جرينشتاين بالأحرف اللاتينية) الذي يعني في العبرية التوراتية "تشققات البيت"، وقد ورد في النقش أن يهوآش صنع هذه التشققات ما يعني أنه سبب تصدعات في البناء وخربه وهو خلاف ما قصد من النقش. فقد أراد مختلقه أن يقول إن يهوآش عمل ترميمات في البيت فاستعار تعبير bedek كما تطور في العبرية الحديثة بمعنى "الترميم" دون أن يعرف مدلوله القديم. كذلك استعمل مختلق النقش كلمة (ي د و ت) edut بمعنى الشاهد: "ليكن هذا اليوم شاهدا" على العمل، بينما لم تعرف العبرية التوراتية القديمة هذه الكلمة بهذا المعنى، فقد كانت تشير إلى معنى "الميثاق" أو "الاتفاق"، وتطور بعض مشتقاتها في العبرية الحديثة ليعني "الشاهد"، فانتزعها المختلق من هذا الاستعمال الحديث واستخدمها في النقش "القديم". ويستخلص جرينشتاين من هذين المثلين وغيرهما أن النقش مزور بالتأكيد(٣٣).

كذلك تعرضت الأحرف التي كتب بها النص للنقد الشديد وهي قد أظهرت زيف النقش. فروبرت دويتش Robert Deutsch من جامعة حيفا، وهو نفسه تاجر آثار، وجد أن النقش "تزييف هزيل وكائن خرافي هجين، فقد جمع معا ما بين الأحرف المؤابية والفينيقيـــة والعبرية"، كما ذهب إلى هذا الرأي كريستوفر رولستون Christopher Rollston الخبيـــر بالنقوش السامية القديمة ورئيس تحرير مجلة

Maarav المتخصصة باللغات والكتابات السامية، الذي رأى أنه "ليس من الصعب فضح التزوير في النقش لأنه ليس متقن الصنع. فهو يختلف كليا عن جميع النقوش المؤكدة التي تعود إلى لغة عصر الحديد العبرية (من حيث الدمج بين اشكال من ازمنة ولغات مختلفة) حتى انه لا يمكن ان يؤخذ بجدية على انه قديم"[٣٤].

لكن ماذا عن أولئك الجيولوجيين من مركز "المسح الجيولوجي لإسرائيل" (إيلاني وروزينفلد ودفورشيك) الذين فحصوا النقش وأعلنوا ثقتهم الكاملة بتاريخيته دون أن ينتابهم اي شك؟ لقد ابدى بعض الباحثين ارتيابا فيهم وإن كان بادب وكياسة. فناداف نِعمان يقول: "إنني لا اشك في الجيولوجيين الذين فحصوا الحجر في مركز المسح الجيولوجي لإسرائيل، إلا إن علينا ان نستمع لآراء إضافية، كما إن هذا النقش، اكان مزورا ام اصليا، ينبغي ان يكون عرضة للفحص من اي عالم، ولا يمكن أن يظل مخفيا لدى جامع (للآثار) بصفته الشخصية". وذهب إلى مثل هذا الراي آفي هورفيتز Avi Hurvitz الخبير في تطور اللغة العبرية الذي بدا مترددا في الاعتماد على الجيولوجيين الذين فحصوا النقش، فعلى الرغم من أنه زكاهم إلا إنه طالب بأن يفحص النقش جيولوجيون إضافيون، وربما من مدارس بحث اخرى، ليكون بالإمكان تقرير ما إذا كان صحيحا[٣٥].

اكثر من هذين وضوحا وحسما كان يوفال غورين Yuval Goren الأستاذ في دائرة الآثار وثقافات الشرق الأدنى القديم بجامعة تل أبيب الذي أوضح "ان النتائج التي توصل إليها باحثو مركز المسح الجيولوجي لإسرائيل متحيزة بإفراط. فالبيانات المعدنية والكيميائية التي تشير إلى غشاء التعتيق، والمواد التي تظهر على اللوحة تبين بشكل حاد أشياء شاذة تثير شكوكا جادة حول صدقيتها، او على الأقل تجعلها مجال تساؤل كبير. ومن الواضح انه لو كان لدى هؤلاء معرفة أكثر بتقنيات التزييف

العامة فربما كانوا أقل حماسا لنشر هذه القصة المخادعة وكانوا قد توصلوا إلى نتائج مغايرة"[٣٦].

وقد فحص غورين النتائج التي توصل إليها جيولوجيو المركز المذكور كما أعلنوها في تقريرهم الرسمي[٣٧]، وتوصل إلى عدد من الخلاصات المهمة التي تنقض من الأساس تلك النتائج. فبالنسبة لغشاء التعتيق، وهو ما عول عليه الجيولوجيون كثيرا لإثبات قدم اللوحة، بيّن أن تركيبته الكيماوية المعلنة لا يمكن أن تكون قد تكونت بمنطقة القدس ولا في المنطقة الهضبية جميعا التي تقع فيها المدينة، وذلك لاختلاف مكونات التربة في هذه المنطقة عن المكونات التي دخلت في تركيبة الغشاء. كذلك عرض لعمر الذرات المكربنة العالقة بالغشاء باعتماد مقياس الكربون المشع (الكربون ١٤) فأوضح الأخطاء التي وقع فيها الجيولوجيون في طريقة احتسابها. أما ذريرات الذهب الكامنة خلف الغشاء والتي ذهب الجيولوجيون إلى أنها من الذهب الذي كان يغشي جدران "الهيكل" والتي ذابت نتيجة حرق البابليين إياه، فقد سخر غورين منها ومن الجيولوجيين الذين فحصوها، فقال إنه "إذا كانت ذرات الذهب قد نجمت من حريق هيكل سليمان المحترق، فإن النقش عند ذاك يدحض التوراة بدلا من أن يبرهن عليه، لأن الهيكل وفق سفر الملوك الثاني كان قد انتهبه البابليون بالكامل قبل أن يحرقوه".

غير أن الأكثر إثارة مما سبق كانت التجربة التي قام بها غورين نفسه وأنتج فيها - باستخدام أدوات وتقنيات مختبرية معينة - نقشا مماثلا تماما بمواصفاته لنقش يهوآش المزعوم، من حيث نوع الحجر المستخدم، وغشاء التعتيق الذي يغلفه، وذرات الذهب الخالص والكربون المشع (الكربون ١٤) العالقة فيه[٣٨]. فهو قد اختار حجرا من النوع نفسه الذي كتب عليه نقش يهوآش وقام بإضفاء غشاء تعتيق عليه مماثل تماما لغشاء ذلك النقش، وحمّله بذرات الكربون المشع التي يمكن الحصول عليها من المتاحف

الإسرائيلية وهي التي يكون قد حدد عمرها التاريخي من قبل، كما أضاف إلى الغشاء ذريرات الذهب الميكروسكوبية، بحيث بدا النقش الجديد نسخة مادية أخرى لذلك المنسوب ليهوآش. وخلص غورين من هذه التجربة إلى القول: "إنه ينبغي تأكيد أننا لو اخذنا هذا الأثر الفني الذي أنتجناه إلى مركز المسح الجيولوجي لإسرائيل واخضعناه لمجموعة التحليلات نفسها [التي اجراها المركز] لأعطى النتائج التحليلية نفسها [التي اعطاها تحليل نقش يهوآش]".

كشف التزوير إذن وظهر الحجر على حقيقته عاريا من الصحة، وكان على سلطة الآثار الإسرائيلية ان تتدخل وتقول كلمتها، وهي صاحبة الاختصاص، في هذا الذي يجري وينبعث منه ضجيج كبير ساد الأوساط الأكاديمية المهتمة بالآثار والدراسات التوراتية معا. وقد جاء تدخلها ليس فقط بسبب ما اثاره "نقش يهوآش" من جدل، بل أيضا بسبب ضجة مماثلة زامنته وقد تسبب بها "اكتشاف" مثير آخر - أعلن عنه مع "اكتشاف" النقش - لصندوق حجري مخصص لدفن عظام الموتى ossuary نقشت عليه عبارة "جيمس بن يوسف اخو المسيح"[٣٩] ، وهو الذي اعتبر أول دليل آثاري على الوجود التاريخي للسيد المسيح. ومثلما تصدى علماء عديدون لـ"نقش يهوآش" وأثبتوا زيفه، كذلك فعل آخرون بما أصبح يعرف بـ"بصندوق جيمس" وبينوا زيفه أيضا مع وجود معارضة شديدة واجهوها من جانب من صدّق بتاريخية هذا الصندوق.

وفي ظل هذه الأجواء تحركت سلطة الآثار الإسرائيلية للإدلاء برأيها في هذين "الأثريين". ومن أجل ذلك شكلت لجنتين لفحصهما من علماء مختصين وأساتذة جامعات، إحداهما لفحص النقوش عليهما من حيث شكل الحروف وقواعد اللغة وبناء الجمل، والأخرى لفحصهما ماديا (فيزيائيا)[٤٠]. وقد أعلنت السلطة نتائج ما توصلت إليه اللجنتان يوم ١٨ حزيران الماضي، وأكد تقريرها أن "الأثرين" كليهما مزوران

استنادا إلى فحص النقوش عليهما، واللغة التي كتبا بها، والمادة التي صنعا منها، وغشاء التعتيق الذي غلفهما[٤١].

من هم المزورون؟

ثبت، إذن، أن "النقش" مختلق، لكن من هم الذين قاموا بعملية التزوير ولماذا هم فعلوا فعلتهم تلك؟ هناك نقاط، وفي الوقت نفسه هي تساؤلات، قد تصلح مؤشرات إلى الجهة أو الجهات التي قد تكون وراء ذلك:

أولا: لا يمكن أن يكون النقش من اختلاق شخص واحد قد يخطر على الظن بأن يكون تاجر آثار، أو لص آثار. فمن المؤكد أنه من صنع "فريق" يضم متخصصين بعضهم في الدراسات التوراتية، وآخرون في اللغة العبرية القديمة، وتاريخ الكتابة (الحرف الفينيقي)، وعلم الآثار، كما لا يمكن نفي أن يكون قد شارك في هذا "الفريق" متخصصون في الكيمياء وعلوم الأرض والتعدين ليصنعوا غشاء التعتيق ومرفقاته من ذرات الذهب والكربون المشع. مثل هذا "الفريق"، الذي لا بد أن يكون قد عمل بتناغم واتساق، ينبغي أن يكون له "راس مدبر" على درجة عالية من الكفاءة العلمية مكنته من وضع مخطط لاختلاق أثر تمكن به من أن يخدع عددا من العلماء الذين اقتنعوا بصحته، فمن هو هذا الراس؟ الجواب بالقطع إنه "عالم كبير" وليس مزور آثار عاديا.

ثانيا: حبكت قصة اكتشاف النقش والإعلان عنه إبان اشتداد المعركة ما بين "المهوّنين" و"المغالين" الذين كنا أشرنا إليهم في مطلع هذه الدراسة، فهل احتفاء "المغالين" بالنقش احتفاء ملفتا للنظر يمكن أن يشكل قاعدة لتوجيه إصبع الاتهام لهم، خاصة وهم الذين ينقصهم الدليل المادي القائم على اللقى الآثارية التي تدعم اعتقادهم بصحة الروايات التوراتية، فكان أن صنعوا هذا النقش ليكون هذا الدليل، وبذلك فإن

"الرأس المدبر" نجم من صفوفهم؟

ثالثا: كان أشد الناس حماسا للنقش هم الجماعات الدينية اليهودية المتطرفة، ومنهم على وجه الخصوص منظمة "أمناء جبل الهيكل" التي أوردنا ذكرها أعلاه، فمضمون النقش مثل بالنسبة لهم نوعا من البشارة باقترابهم من أهدافهم في بناء "الهيكل الثالث"، فهل كان ذلك العالم الذي أدار الفريق الذي صنع النقش واحدا من صفوفهم، أو مقربا من أوساطهم؟

رابعا: نستذكر أن دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس قامت أواخر العام ١٩٩٩ ومطلع العام ٢٠٠٠ بأعمال حفريات تحت موقع المسجد الأقصى لفتح باب آخر لما عرف باسم المسجد المرواني (والذي يعرف بالأدبيات الإسرائيلية باصطبلات سليمان). وقد أثارت هذه الأعمال ضجة كبرى عند ذاك تعرضت فيها الدائرة لحملة إسرائيلية شعواء ركزت ـ من جملة القضايا التي أثارتها ـ على أن الدائرة تدمر بعملها "الآثارية التوراتية" الواقعة على "جبل الهيكل". وقد ذكر آنذاك أن الدائرة كانت تلقي بالركام الناتج عن هذه الأعمال في وادي قدرون إلى الشرق من موقع المسجد الأقصى. وقد أثار هذا الركام اهتمام الآثاريين الإسرائيليين لما يمكن أن يجدوا فيه من شواهد تدل على صحة الروايات التوراتية، وخاصة منها تلك المتصلة بـ"أورشليم اليهودية" و"الهيكل". فوفقا لروني رايخ Ronny Reich من "سلطة الآثار الإسرائيلية" والمتخصص بتاريخ القدس القديمة، فإن المواد التي جرفت من منطقة "جبل الهيكل" يمكن أن تساهم في "المناظرة" القائمة حول ما إذا كانت أورشليم مدينة مهمة في القرن العاشر قبل الميلاد أي في زمن الملك داوود[٤٢]. وأهمية المدينة في ذلك العصر، وما إذا كانت فعلا عاصمة لمملكة كبرى تحت حكم الملكين داوود فسليمان ، أم مجرد قرية زراعية صغيرة كما تدل التنقيبات الآثارية التي أجريت في الموقع والتي تنفي وجود تلك